قضايا قومية

حملة العداء للحزبية الثورية

بين سياسة "الأنظمة الص[illegible]" وفكرة "الطبقات الص[illegible]"

بقلم سليمان [illegible]

كما تعاظم المد التحرري في الأمة العربية ، واتضح مدى اهمية الاحزاب الثورية في احتضان هذا المد ودفعه الى الامام ورفع مستويات النضالية ، تحل الابواق الرجعية والاستعمارية لوقفه ، لا عن طريق مجابهة مباشرة فحسب ، بل عن طريق مهاجمة الاحزاب والحزبية والتشكيك بالعقائد والعقائدية .

وقد ثبت بما لا يقبل الشك خلال الحقبة الماضية من النضال العربي ان الهم الاول للاستعمار هو ضرب وحل الاحزاب التقدمية وجعلها عاجزة عن تمثيل اماني الجماهير العربية . لا بل لتحميلها مسؤولية الانتكاسات القومية من اجل الحيلولة دون نهوضها باعباء النضال في المراحل الجديدة التي لا يكون فيها النضال بقادر ان يصل الى غايته دون حياة حزبية ثورية .

وان الخط الاساسي الذي دأب الاستعمار والرجعية والطبقات الملحقة بهما في المجتمع العربي على السير فيه هو خط تهديم الادوات السياسية الصلبة ، حتى تكون الجماهير العربية مشلولة امام قوى الاستعمار وقوى الثورة المضادة .

■ **طبقة محترفة**

لذلك لم يكن غريبا ، ولـن يكون مستغربا ، ان جميع الذين احترفوا الريبة في معاداة ومحاربة احزاب تقدمية ثورية ، كحزب البعث العربي الاشتراكي مثلا ، قد ثبتت علاقتهم بالاستعمار والرجعية بشكل او بآخر . ولم تقتصر هذه الفئة على بعض السياسيين المحترفين ، بـل شملت عددا غير قليل من المثقفين والكتاب والصحفيين ورجال الاعلام وشركات العلاقات العامة ، بحيث بات هؤلاء يشكلون طبقة كاملة ذات مصالح مترابطة .

والادهى من ذلك ان هذه الطبقة لم تعدم الحلفاء في بعض مراكز القوى العربية ، وفي عدد غير قليل من المرضى السابقين الذين سقطوا تحت وطأة المصالح والاحقاد الشخصية .

غير ان معاداة الحزبية التقدمية لم تتخذ شكلا واحدا ، وان كان الشكل الابرز هو تهديم الاحزاب الثورية في تجسيد النضال العربي والسير به الى مداه الطبيعي . بل اتخذ في كثير من الاحيان صورة ديماغوجية تتمثل في رفع الشعارات المزيفة لتفريغ جوهر الشعارات الحزبية التقدمية وافراغها من مضامينها الحقيقية .

■ **تجديد الحملات على الحزبية**

وفي الوقت الذي بدا فيه النضال العربي بعد الهزيمة يرتفع الى مستويات جديدة ، وخاصة بعد نزول بعض الاحزاب التقدمية الى ساحة الكفاح المسلح ضد اسرائيل ، ترتسم في الافق العربي دلائل حملة جديدة شرسة ضد الحزبية والعقائدية لتحميلها من جديد مسؤولية الانتكاس العربي .

ان الملامح الجديدة لمعاداة الحزبية التقدمية تحمل بعض الملامح القديمة من حيث تصوير الحزبية بأنها تعني الانقسام والتفرقة وان الوحدة الوطنية لا تتم الا بطرحها ، ولكنها في الوقت نفسه تحمل عناصر جديدة من حيث التركيز على وضع الديمقراطية في وجهها كنقيض طبيعي .

■ **الذعر الاستعماري**

وقبل الدخول في تحليل هذه الملامح لا بد من تفسير الذعر الاستعماري الذي يقف وراءها .

اولا ، يدرك الاستعمار ان الاحزاب الثورية هي التعبير الاكثر وضوحا والاعمق اثرا عن العملية التاريخية لاستيقاظ الوعي والتطور والثورة لدى الجماهير ، ودفع هذه اليقظة الى ارفع الدرجات .

ثانيا ، ان تحول الاحزاب الثورية الى ساحة الكفاح المسلح يخلق تماسا بين النظرية والممارسة وبين الايديولوجية والتنظيم ، مما يشد اوسع الجماهير الى ساحة النضال من خلال المعرفة والوضوح بالنسبة لطبيعة المعركة واهدافها . الامر الذي يشكل بداية ثورة ثقافية تتيح رؤية سياسية افضل للجماهير الشعبية .

ثالثا ، كان الاستعمار ، وما يزال ، يراهن ويسعى الى منع الاحزاب الثورية من تجسيد المقاومة . وذلك لان الرغبة المقاومة من شأنها ان تصبح الاحزاب الواقعة فيها على هامش النضال الوطني ، وتدفعها بالتالي الى التخلي عن طريق الثورة مع كل ما يستتبع ذلك من ضعف ووهن كأن تصبح قوة فرعية لا اثر لها ، بحيث تتحول الى منظمات مغلقة ومنحصرة عقائديا لا يمكن ان تؤلف الجمهور العادي المفروض ان تؤلفه في الحركة الثورية والكفاح المسلح ، فضلا عن عزوف جمهرة المناضلين والثوريين عن الانضمام اليها والالتحاق بها .

رابعا ، ان خطر النزعة المغلقة الذي كان يراد للاحزاب الثورية ان تقع فيه ، يقابله خطر آخر كان يراد ان تقع فيه حركة الكفاح المسلح بالمقابل ، وهو خطر الانتهاء بالاشكال العسكرية للتنظيم والنضال والتقليل من شأن الادوار الحزبية والنضال الجماهيري .

خامسا ، ليس من الشك ان تطور الكفاح المسلح بصورة [illegible] الاحزاب الثورية . لان غياب هذه الاحزاب عن الساحة يبعد عن الثورة قوى كبيرة هي بحاجة اليها ويقرب منها القوى الوصولية المزيفة التي تحرف الثورة عند اول منعطف .

سادسا ، ان دخول الاحزاب الثورية ساحة الكفاح المسلح ، هو في

[illegible]

القياس الأساسي لتقييم أصالة وعضوية [illegible] ثوري

تبع الاستعمار والعاملين في خدمته الى محاربة الحزبية الثورية من اجل ابقاء ميزان القوى لصالحه [illegible] الرجعية والرأسمالية [illegible] لسيطرة القوى الصهيونية والاستعمارية ولضرب حركات التحرر الوطني .

وليس هذا بحاجة لاستنتاج بقدر ما [illegible] التحليل المنطقي وقراءة التجارب التي مرت بها الامة العربية [illegible] الاستعمار والرجعية [illegible] الاسلام في الشرق الاوسط [illegible] اميركا [illegible] استمرار [illegible]

[illegible] الاعلام [illegible] الاحزاب [illegible]

واموالها والحد الشديد الذي تبذله لتضليل الجماهير العربية وسط حالة الحرص الزائف على الوحدة الوطنية والديمقراطية .

■ **الانظمة الصالحة والطبقات الصالحة**

ان الوحدة الوطنية في المفهوم التقدمي ، هي وحدة الطبقات والقوى ذات المصلحة الحقيقية في الثورة والتغيير والتحرير ، بكل ما يعنيه ذلك من صراع ضد الرجعية والاستعمار والصهيونية والاستغلال والاقطاع والتبعية . وهذه الوحدة لا يمكن ان تتحقق في غياب الاحزاب الثورية التي تتصدى لحمل اعباء هذا الصراع من اجل تحقيق الاهداف القومية .

لذلك ، فان حملة العداء للحزبية تهدف الى منع قيام فصائل ثورية [illegible] الوحدة الوطنية الصلبة [illegible] وحدة واحدة ذات مضامين [illegible] برجوازية القصد منها ابعاد وتأجيل الصراع الطبقي لجماهير الامة العربية .

باسم الوحدة الوطنية ، وتحت [illegible] الحركة ، والتحلل من [illegible] الحزبية على اساس انها مفرقة للصفوف ، يراد ان يلتئم [illegible] مع اليمين والرجعية والاقطاعية ، ويتلاقى مع الاستعمار والصهيونية [illegible] مع الرأسمالية والاستغلال والاحتكار بحجة [illegible] صف واحد .

وبكلام آخر ، يراد ان تستقر مقولة « الانظمة الصالحة » مقرونة بمقولة « الطبقات الصالحة » ، لان ذلك هو الوضع المثالي لاستمرار الهزيمة واجهاض ثورة التحرير .

ومن هنا يبدو القصد من تصوير الاحزاب ، بانها ظاهرة مرضية من ظواهر الهزيمة ، في حين انها ظاهرة صحية [illegible] للقوى والعناصر المتخاذلة بحكم نشأتها او تكوينها او مصالحها ، او بحسب الاسباب جميعها .

وكما ان هناك من اتخذ من النقد [illegible] الانظمة العربية التقدمية حجة للتشهير بالتقدمية بحد ذاتها ، فان هناك الآن من يتخذ من « الانقسامات الحزبية » حجة للتشهير بالحزبية بحد ذاتها ، ومن تكلس بعض التجارب الاشتراكية للتشهير بالاشتراكية ذاتها .

■ **الديمقراطية والدفاع عن الوطن**

ربما يقال عن الوحدة الوطنية في معرض معاداة الحزبية الثورية يقال عن الديمقراطية بعض النقل ومن نفس المنطلقات .

ان الديمقراطية الثورية اصيل بما لا يقاس من الديمقراطية البرجوازية الشكلية ، لانها تتيح بين جماهير العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين الذين لا يمكنهم [illegible] في ظل الاشكال الديمقراطية البرجوازية المزيفة . فالنظرة الثورية للديمقراطية هي عودة السلطة كاملة للشعب وتنمية الامكانيات العملية لكافة القوى العاملة في التأثير الحاسم على اتخاذ القرارات السياسية .

فالذي يقترح مرحلة لتطويق الديمقراطية بتحديد احزاب اليمين والبرجوازية وحرية هذه الاحزاب وصحفها ، يعملون في نفوسهم الحقد على الطبقات الكادحة والرواسب الرجعية المعادية التي يحاول الاستعمار احياءها حتى تصاب التجارب الثورية بانتكاسة .

لذلك لا يمكن فصل معاداة الحزبية الثورية باسم هذا المنطق الديمقراطي المزيف عن مسائل الدفاع عن الوطن . اذ ان ترسيخ الحقوق الديمقراطية للجماهير الكادحة وتحقيق مصالحها الحيوية وتلبية مطالبها الاساسية هو وحده الذي يستطيع تعزيز الطاقة القتالية للشعب ضد العدوان الاستعماري ـ الصهيوني . فكيف يمكن تصور نيل هذه الحقوق بغير [illegible] الاحزاب الثورية المتبنية لمصالح جماهير العمال والفلاحين .

[illegible] ان محاولات تهديم الاحزاب [illegible] الجماهير والثقة في الاحزاب الثورية [illegible] محاولات ليس فقط لاضعاف [illegible] القتال في الشعب ، فتلتقي بالتالي مع الاهداف الاستعمارية الصهيونية .

وهناك شيء اخر يجب [illegible] اعلامية تشن في بعض الصحف العربية المعادية للحزبية الثورية [illegible] الذين تخلوا عن [illegible] النضال الوطني ، او [illegible] حركاتهم لسبب او لآخر [illegible]

وليس المهم ما يقوله هؤلاء [illegible] لان هناك قواعد وطنية صحيحة لتقييم الواقع والآراء والاشخاص .

ان القياس الاساسي لتقييم [illegible] الاصالة والعضوية [illegible] الدعوات [illegible] الثورية ، هو مدى قدرة هؤلاء القائمين على التشكيل رابطة بينهم وبين افكارهم من جهة ، وبين حركة الجماهير من جهة ثانية . فكيف يكون [illegible] حركة الجماهير ؟

وكيف تكون هناك صلة بحركة الجماهير بدون ان تكون هناك صلة بادوات الاتصال ؟

ان حركة الجماهير ليست شيئا هشا يخاطب بالواسطة ، بل هي واقع حي يتطور ويرتقي بالتفاعل والمساهمة . لذلك فان [illegible] للفرقة ذات النفس الانقسامي ، ان لم تلتق مع الاعلام الاستعماري فانها في احسن الاحوال صيحة الالم والضجيج .

ومن هنا حرص المراكز الاعلامية المعادية لحركة التقدم العربي ، على استقطاب مختلف انواع المثقفين الذين يشعرون بمواجهة الاستمرار ومواجهة التحدي ، لانها تريد ان [illegible] حركة التقدم عند نفر هم من [illegible] في الاصل ، وتأخذ منهم مثلا على [illegible] وشرعية ما تدعي .

ان حركة العداء للحزبية الثورية مهما لبست من لبوس الديمقراطية والوحدة الوطنية ، ومهما استعانت بالعثرات الفكرية للمثقفين الذين [illegible] على هامش النضال الوطني ، تظل هي الخدمة الكبرى التي تسدى للاستعمار ، وخاصة في هذه الظروف .

أن [illegible] الذي يراد للأحزاب الثورية أن تقع